أدلجة الدين وتسييس المقدس عند الكندي

Adelege of religion and politicizationof the sacred of Al-Kindi

د. سامية صادق سليمان (*)

كلية الآداب، بني سويف، مصر

****

تاريخ الإرسال:2019/06/22 تاريخ القبول: 2019/08/09 تاريخ النشر: 30 /2019/09

الملخص:

كان العلماء والفلاسفة، موضع انتقاد ، و بعضهم كانوا يُضطهدون و يُلاحقون ؛لأنهم قالوا الحقيقة، وقد أثبتتْ وقائع التاريخ أنّ هذا الاضطهاد تم بتحالف المؤسسات السياسية مع بعض رجال الدين المتشددين والمعادين للفلسفة والفلاسفة .

و قد هاجم الكندي تجَّار الدين في رسائله، ووصفهم بأن الدين منهم براء، وأنهم لا يُظهرون غيرةً على الدين إلا للدفاع عن مناصبهم الزائفة، كما لاحظ الكندى، أن لا دين لمن يقاوم العلم، ذلك أن العلم بحقائق الأشياء، يشمل العلم الإلهى، وعلم التوحيد، وعلم الفضائل.

وناهض الكندي من هاجموا الفلسفة ، فقال الكندى فيهم : أنهم من أهل الغربة عن الحق، وإن تُوجوا بتيجان الحق، دون استحقاق. فهم يعادون الفلسفة ذباً عن كراسيهم المزورة؛ التى نصبوها من غير استحقاق، بل للترؤس والتجارة بالدين، وهم عدماء الدين، لأن من تجر شيئا باعه، ومن باع شيئا لم يكن له من الأساس.

كلمات مفتاحية: تجارة الدين – رجال الدين المتشددين – الفلسفة والدين – خصوم الفلسفة – المعاندون للتفلسف .

(*) مدرس الفلسفة الإسلامية بآداب بني سويف. مصر

المنارة للاستشارات

Abstract :

Scientists and philosophers were criticized, some persecuted and persecuted because they told the truth. History has shown that this persecution was carried out by the alliance of political institutions with some hardliners, philosophy and philosophers.

Al-Kindi attacked the religious merchants in his letters, describing them as being ignorant of religion, and that they show no jealousy over religion except to defend their false positions. As Al-Kindi noted, there is no religion for those who resist science. , And the science of virtues, and in general, the knowledge of all that is useful, and the knowledge of these things, recommended by the sincere messengers who God sent them.

And Al-Kindi against those who attacked philosophy, Al-Kindi said in them: that they are alienation from the right, and crowned with the crowns of truth, without merit. They return the philosophy from their false chairs, which they have appropriated without merit, but to consecrate and trade in religion. They are adherents of religion, because someone who buys something sells it and sells something that has nothing to do with it.

Key words:

المنارة للاستشارات

تمهيد

كان الكندي(ت 252ه)، وما يزال، ظاهرة ليست بالاعتيادية في حقل الفلسفة عموماً، ظاهرة مثيرة للجدل، أفرح الكثيرين اعترافاً بتميّزه، وأغاظ مثلهم حسداً وحقداً على مكانته ، وعلى الرغم ممّا كُتِبَ عن الكندي سلباً وايجاباً، فانه سيبقى مدار بحثٍ طويل عِبر العصور والأجيال.

ولكي نبرهن على أنّ الكندي كان ضحيّة للنقد غير البنّاء، أو بمعنى آخر، كان ضحية الأحقاد الشخصية، والمواقف النفعية في آن معاً، من قبل رجال الدين في عصره، آثرنا التكلّم على بعض الانتقادات التى وجهت إليه من لدن بعض المناهضين له والتى كانت وراء تكوين عاصفة الهجوم عليه .

وعلى الرغم من أن الكندي عاش في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية، وفي الفترة التي ساد فيها فكر المعتزلة العقلاني ليصبح المذهب الرسمى للدولة العباسية، وعلى الرغم من تمتعه برعاية ودعم الخلفاء العباسيين: المأمون(ت 218ه)، والمعتصم(ت 227ه) ، فإن كل ذلك لم يجنبه تهجمات القوى الظلامية والسلفية التى طعنت فيه وفي الفلسفة بشكل عام، باعتبارها رأس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال التى تخالف العقيدة الإسلامية وتدفع الإنسان إلى النظر والتفكير في أمور حرم الشرع التفكير بها، وهكذا كان على الكندى أن يخوض معارك مريرة للدفاع عن النظر العقلي وإثبات أهميته.

دافع الكندي عن مبدأ وحدة الفكر الإنساني وتراكم المعرفة البشرية عبر الأزمنة والحضارات، فليس من حق أحد أن يدعى لنفسه أو لحضارته احتكار الحقيقة المطلقة ، كما الحال عند بعض رجال الدين- وأن يرمي بقية الأجيال والحضارات بالضلالة؛ لأن مفكرى كل أمة من الأمم حصَّلوا قسطا من المعرفة والحقيقة التي بتراكمها يمكن للإنسان أن يقترب تدريجيا من المعرفة الحقة، فينبغي لنا –كما يري الكندي- أن لا نستحى من استحسان الحق وإقتناء الحق من

المنارة للاستشارات

أين أتى، وإن أتى من الأجناس القاصية عنا، والأمم المباينة، فإنه لاشيء أولى بطالب الحق من الحق، ولا أحد يبخس بالحق، بل كلٌ يشرفه الحق.

ويعتبر الصراع بين الدين والفلسفة في العصر الذي عاش فيه الكندي هو امتداد للصراع الأيديولوجي الذي ميز ذلك العصر أيضا. من هنا كان تحديد الموقف الحاسم في مشكلة العلاقة مابين الدين والفلسفة، لا ينفصل عن تحديد الموقع الحاسم في جبهة الصراع الايديولوجي . ورغم دفاعه المستميت عن الفلسفة والمنهج الفلسفي الذي تكون لديه من جملة مؤثرات معرفية وتجربية في العلوم الطبيعية والرياضيات بقي ارتباطه الوجداني بالمسلمات الدينية قويا.

لقد واجه الكندي من أطلق عليهم أهل الغربة عن الحق وإن توجوا بتيجان الحق دون استحقاق. فهم يعادون الفلسفه -في رأيه- ذبا عن كراسيهم المزورة التي نصبوها من غير استحقاق- فيما يري - بل للترؤس والتجارة بالدين وهم عدماء الدين؛ لأن من تجر شيئا باعه ومن باع شيئا لم يكن له.

تعرض الكندي لحملات التكفير والتشويه من قبل رجال الدين ولا نجد أسبابا لذلك إلا بسبب انهماكه بترجمة الفلاسفة اليونانيين إلى لغتنا العربية. ودفاعه عن الفلسفة وبدلا من أن يمدحوه ويشكروه على الخدمات الجلية التي قدمها للفكر العربي راحوا يهاجمونه. في الواقع أنه كان أكبر منهم بكثير وأعمق نظرا. كان يعتقد أن السعى لمعرفة الحقيقة هو مقصد جميع الأنبياء والرسل وليس فقط الفلاسفة. وبالتالي فالفلسفة ليست كفرا على عكس ما يقول أعداؤها «المتاجرون بالدين» على حد تعبيره.

وتتعلق إشكالية هذه الدراسة في إطارها العام بالاتجاهات الفلسفية عند الكندي وتصنيفاتها، ويشغلنا تجربته الفلسفية ؟ وأسباب هجوم رجال الدين عليه حتي اتهموه بالالحاد؟ وكيف واجههم ؟ وما تأثير الصراعات الداخلية عليه ؟ و تهتم الدراسة أيضا بإبراز أهم الرؤي والافكار الفلسفية للكندي، ما هو منهجه ؟ و أهم الأفكار الفلسفية التي أتى بها ، وميزة الخطاب الفلسفي الذي قدمه ،

المنارة للاستشارات

ودفاعه عن التأويل ، و مدي تأثره بالفلسفة اليونانية التي أعجب بها ، و توقف عندها كثيرا.

ونحن لا ندعي من خلال هذه الدراسة القدرة علي تجاوز العقبات والنواقص التي تعرضنا لها ، لعل أهمها، قلة الدراسات التي أهتمت بالنزاع الذي كان قائما بين الكندى ورجال الدين ، وقلة نصوص الكندى التي عثرنا عليها في هذه القضية .

وقد عمدت هذه الدراسة إلى استخدام المنهج التحليلي الذي يقف على تحليل نصوص الكندي، لاستخلاص أهم الأفكار الفلسفية التى تتضمنها ، وكذلك فإن التحليل الذي مارسناه على نصوص الكندي كان تحليلا اصطلاحيا للمفاهيم والتصورات، وتحليلا منطقيا مكننا من رصد ومتابعة القضايا الواردة في نصوصه ، واستخدمت أيضا المنهج الوصفى الذي يهدف إلى الوقوف على الظواهر التي تخدم الدراسة ، ووصف أبرز الأفكار والاتجاهات الفلسفية في فكر الكندي .

وقد اقتضى البحث أن نقوم بتقسيمه إلى مباحث بجانب المقدمة والخاتمة ، وهذه المباحث، كالأتي :

أولا : مصطلح تجار الدين:

ثانيا: دفاع الكندي عن الفلسفة :

ثالثا : التوفيق بين الفلسفة والدين:

رابعا : صراع الكندي وتجار الدين :

وحسبنا أن هذا البحث يقدم صورة عن المواجهة التي بين الكندي ورجال الدين بصفة خاصة ، وبين الفلاسفة ورجال الدين بصفة عامة ، وتكمن جدة هذا البحث في أنه يحاول تسليط الضوء علي قضية قل الاهتمام بها ؛ اذ إن معظم الباحثين قد غلب عليهم الاهتمام بالفكر التقليدي للكندي وتجاهلوا – في كثير من الأحيان- نقد الفقهاء وبعض رجال الدين له ، وتصدي الكندي لهم وهجومه عليهم.

المنارة للاستشارات

أولا : مصطلح تجار الدين:

انتشر مصطلح تجار الدين كوصف لمن يعتمدون الدين ستار يتخفون خلفه ، أو يستخدمون الدين فى تحقيق مآرب سياسية. وهذا المصطلح قديم استخدمه البعض للتعبير عن توظيف الدين لصالح مصالح دنيوية .

ويطلق هذا المصطلح غالبا على بعض رجال الدين الذين ليس لهم غرض من خطابهم إلا الوصول إلى مكانة عالية ، وتَبَوُّءِ مناصب علمية أو سياسية . ويطلق أيضا على بعض الساسة الذين يُخضِعُونَ رعاياهم باسم الدين.

و تجار الدين هم هؤلاء المتنطعين في الدين الذين يدعون التدين ، ويتظاهرون بالورع و يفسرون النص الديني ويؤولونه لصالحهم، أو لصالح من يسخروهم لتحقيق مصالح سياسية أو اجتماعية أو مادية.

و بعض رجال الدين هم أيديولوجيون يستخدمون الخطاب الغيبي ، يهدمون ما يعتبروه فاسداً ، ويشيدون ما يظنوه فاضلا. وينتقدون ويصححون ويرسمون الخطوط والمسارات ويحددون التوجهات والشعارات.

و قد اقترن هذا المصطلح «تجار الدين» مؤخرا بالجماعات الإسلامية ، فتجار الدين هم من يربطون أنفسهم بالدين ربطاً قسرياً، ويحرصون على إخفاء أهدافهم السياسية ويدعون أنهم مجرد جماعات دينية دعوية .

ومن سمات تجار الدين استغلالهم لعقول البسطاء في بث أحكام وتفاسير وفتاوى لا يقبلها عقل ولكن يجب تنفيذها وطاعتها والرضوخ لها [1].

و بإمكاننا حصر السُّلطة الدِّينية في مجالين هما: سُلطة النص، وسلطة رجال الدِّين، أو القائمين على النّص الدِّينى ، و هؤلاء من يتحدثون باسم الدين ويتوحدون مع المقدس ويدعون الحقيقة المطلقة .

ولقد استخدمت السُّلطة الدِّينية كقناع وغطاء لمنظومة من المصالح المتعددة في كل مرحلة تاريخية [1].ولم تقتصر على مرحلة واحدة ، أو دين بعينه .

(1)http://www.almothaqaf.com/a/b6/930116

المنارة للاستشارات

ولطالما أقحم الدين في مجالات كثيرة في الحياة واسُتغلت نصوصه المقدسة لتبرير السلوكات التي انحرفت عن خط المقدس أو التى تريد أن تضفي قداسة وشرعية لتجربتها الدينية والاجتماعية والسياسية ؛ لتوحي للآخرين بأن فهمها وتمثلها للمقدس هو جزء منه، بل هو مقدس ثانٍ يجب الاعتراف به ولا يجوز إنكاره.

ولعل من أكثر الحقول التي جرى فيها استغلال الدين وتوظيفه لخدمة المآرب البشرية أفراداً وجماعات هو الحقل السياسي. وتُعدّ مسألة التوظيف السياسي للدين وأشكال التدين ظاهرة ملازمة لسيرورة التطور السياسي في العالم ، وليست مرتبطة بدين معين أو جماعة سياسية أو أيديولوجيا دينية محددة.

و غني عن البيان أن توظيف المقدسات في الصراعات السياسية بين البشر، قديم قدم التاريخ، ففي بلاد اليونان حُكم على سقراط بالإعدام بتهمة إزدراء العقائد وإفساد العقول، ولكن الفيلسوف فضل شرب السم محاطا بتلامذته، عوضا عن تمكين أعدائه من متعة انتزاع حياته، وفي بلاد العرب تعد محنة ابن رشد الواقعة الأبرز في تاريخ الإضطهاد الفكري المغلف بالقداسة [2].

و حين يتحول الدين إلى أيديولوجيا سيقتصر على منفعة مجموعة سياسية محددة، ومن ثم سيخسر إنسانيته ويغدو أرض صراع، وحينها تجري التضحية بالأخلاق والعقل والعدالة، لحساب الإرادة السياسية ومصالحها لذلك فإن تحول الإسلام إلى أيديولوجيا شاملة، لا يجرده من محتوياته الروحية والأخلاقية بل يجعل أغلب تاريخ المسلمين مختلف .

---

(2) راجع: ماهر عبد الهادي: السُلطة السياسية في الدولة،القاهرة، 1980م.
ص 139، 140

(3) http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=332970&r=0

المنارة للاستشارات

و يستخدم الدِّين- أحيانا- في تأصيل سُلطة الحاكم الدُّنيوية، وكان الارتباط قوياً بين الدِّين وبين الممارسات السِّياسية، ثم حدث تطور إلى درجة الانفصال التام في بعض المجتمعات [1].

ولقد انحرف البعض بالنّص الدِّيني إلى حد بعيد، فاتخذه أداة لخدمة أغراضه السِّياسية، وتم توظيف الدِّين- في كثير من الأحيان- لصالح السُّلطة وبرر به الحكام ما يقومون به من أفعال، واعتبروا الخروج على الحاكم وعدم الخضوع له عصياناً لأوامر الله، وخروجاً على تعاليم كتابه، وسنة رسوله، فالسُّلطة تستمد شرعيتها من الأصول الدِّينية، وقد أدى ذلك- في بعض الأحيان – إلى تشكيل نظرة إجبارية تربط الدِّين بالسِّياسة، والسِّياسة بالدين [2].

ويوظف الدين لغاية ما، أقرب ما يكون لبيعه ، أو تركه، عندما لا يوصله الدين إلى غاياته . ويصف البعض حال المجتمع الذي كان في زمانهم من الإتجار بالدين حد اعتبار أهله عبيدًا لدنياهم، وأن انتمائهم للدين، وحديثهم في أموره صار سلعة يتم الترويج لها، بغية استدراج العطايا من سلطان المال والسياسة [3].

وقد ارتبط مصطلح تجارة الدين بالاستبداد السياسي ، فلا يوجد مستبد ألا و أضفي صفة القداسة علي ذاته وعلي أفعاله ، يقول في ذلك الكواكبي: (ما من مستبد سياسي إلى الآن إلا ويتخذ له صفة قدسية يشارك بها الله أو تعطيه مقام ذي علاقة مع الله. ولا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمة الدين (تجار الدين) يعينونه على ظلم الناس باسم الله، وأقل ما يعنون به الاستبداد تفريق الأمم إلى

(1) د/ أحمد صالح الصياد: السُّلطة والمعارضة في اليمن المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى، 1992م.ص 76، وراجع: أيضاً د/ نبيل عبد الفتاح: سياسيات الأديان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م ص 21و-https://mena monitor.org/research

(2) راجع: د/ محمد معروف الدواليبي: الدولة والسُّلطة في الإسلام ، القاهرة ، دار الصحوة ، 1984م. ص 45 وناصيف نصار: منطقة السُّلطة ،مدخل إلى فلسفة الأمر، دار أمواج ، الطبعة الأولى، 1995م.
ص 144، 145، ومحمد أركون: الفكر الإسلامي "قراءة معملية"- ترجمة هاشم صالح – مركز الاتحاد القومي بيروت ط2، 1996م، ص 145.

(3) http://maarefhekmiya.org/7934

المنارة للاستشارات

مذاهب وشيع متعادية تقاوم بعضها بعضا فتتهاتر قوة الأمة ويذهب ريحها فيخلو الجو للاستبداد ليبيض ويفرخ، وهذه سياسة الإنجليز في المستعمرات لا يؤيدها شيء مثل انقسام الأهالي على أنفسهم وإفنائهم بأسهم بينهم بسبب اختلافهم في الأديان والمذاهب . وأعظم ما يلائم مصلحة المستبد ويؤيدها أن الناس يتلقون قواعده وأحكامه بإذعان بدون بحث أو جدال) [1]

و الاستبداد محفوف بأنواع القوات ومنها قوة رجال الدين، وهذه القوة تجعل الاستبداد كالسيف لا يقابل بعصا الفكر العام الذي هو في أول نشأته يكون أشبه بغوغاء، ومن طبع الفكر العام أنه إذا فار في سنة يغور في سنة، وإذا فار في يوم يغور في يوم، بناء عليه يلزم مقاومة تلك القوات الهائلة مقابلتها بما يفعله الثبات والعناد المصحوبان بالحزم والإقدام .[2]

وعندما يتحول الدين إلى أيديولوجيا مغلقة يُحكم كل ما في داخلها ، ويناهض كل من هو خارجها كما يقول الفيلسوف وعالم الإنسانيات الفرنسي بول ريكور بأن إحكام إغلاق أسوار العقيدة يعني إدماج مَن هم في الداخل واحتواءهم بالقوة، وفي الوقت نفسه هو إقصاء إلى غيرية جذرية متوحشة لكل من يقاوم الإدماج ويصده .

ومن أخطر ما تعرض له الدين أنه في كثير من مراحل التاريخ تحول إلى المبرر الأيديولوجي للصرا عات، وكانوا يتكئون عليه من أجل إضفاء القدسية وهذا سر التشعب الديني [3].

إننا بوقوفنا على مفهوم الإيديولوجية سنجد أنها هي مجموع الأفكار المعبرة عن المصالح الطبقية لطبقة اجتماعية معينة، مع إيهام باقي الطبقات أن تلك المصالح هي مصالحها أيضا لوضع حد للتناقض القائم بين الطبقة صاحبة الأيديولوجية ، و باقي الطبقات الاجتماعية القائمة في الواقع، و هكذا نجد أن الوصاية على الدين الإسلامى ساقطة و ممارسوها ليسوا إلا مؤدلجين لهذا الدين لصالح الطبقات

(1) عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ص22، 23.
(2) المرجع السابق ، ص117،118.
(3)https://www.diwanalarab.com/spip.php?article2607
(4)http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=37788&r=0

المنارة للاستشارات

الحاكمة، أو سعيا للوصول إلى السلطة لفرض استبداد بديل للاستبداد القائم. و لذلك كان لزاما علينا الكشف على الخلفيات القائمة وراء أدلجة الدين الإسلامي، ووراء ادعاء أن الناس لا يعلمون شيئا عن أمور دينهم و دنياهم، و أن مؤدلجي الدين وحدهم هم الذين يقومون بذلك [1].

وتجار الدين هم العاملون على أدلجة الدين الإسلامي وصولا إلى فرض تحويله لمجرد قوالب جاهزة يتم تفصيل الواقع على مقاسها من أجل أن يتمكنوا من إعداد المجتمع إلى قبول فرض استبداد بديل على أنه هو الدين.

ويمكن القول بناء على هذه المعطيات اليومية إن الأيديولوجية الدينية قد وفرت مجال الهيمنة للفكر الديني ومن ثم أتاحت الفرصة لممثل هذه الأيديولوجية؛ أى رجل الدين أن يفرض نفسه على الساحة، خاصة وأنه يتناغم مع نفس الحماس الشعبي للدين.

وتروج التجارة بالأديان فى المجتمعات التى ينتشر فيها الجهل، فإذا أردت أن تتحكم فى جاهل فعليك أن تغلف كل باطل بغلاف دينى" تلك العبارة التى تلخص الوضع الحالى فى المجتمع العربى برغم أنها قيلت منذ قرون على لسان ابن رشد.

وقد نبه ابن رشد إلى مخاطر تسييس الدين وتديين السياسة؛ فذلك من شأنه أن يفقد الدين قدسيته وتعاليه، وفي المقابل؛ يضفي هذه التعالوية المنتزعة على الفعل والخطاب السياسيين، وقد بينت التجارب ؛ أن بعض رجال الدين، حين يتحالفون مع السلطان، يبررون جوره، ويقتسمون معه الغنيمة، ويعيثون في الأرض فسادا، وهم إذ يفعلون ذلك، يبررونه بجبرية واهمة، تجعل نفوذهم فوق كل محاسبة [2].

والخلاصة أن بعض المتدينين أو من يظهرون ذلك أعطوا عن الدين صورة مشوهة وقبيحة ومزيفة عكست في أذهان الناس أن الدين عدو للحياة والوجود،

---

(1) مصطفي بن تمسك، السيايسي" والديني" والفلسفي ، الحدود الإستمولوجية والحدود المجالية، الرباط ،المغرب ، مؤمنون بلا حدود، 28 أغسطس 2017م، ص 9.

المنارة للاستشارات

وعدو للإبداع والفن وخصم للآخر غير المتدين، بهذه الذهنية السقيمة وبهذه الروح العدوانية الكارهة لكل شيء في الحياة يتحول الدين إلى بؤرة كراهية وتدمير بدلا من كونه منبعا للمحبة والسلام .

فعندما تكون الأيديولوجيا دينية ، أو عندما يتحول الدين إلى أيديولوجيا مغلقة يُحكم كل ما في داخلها ويقصى كل من هو خارجها كما يقول الفيلسوف وعالم الإنسانيات الفرنسي بول ريكور (بأن إحكام إغلاق أسوار العقيدة يعني إدماج مَن هم في الداخل واحتواءهم بالقوة، وفي الوقت نفسه هو إقصاء إلى غيرية جذرية متوحشة لكل من يقاوم الإدماج ويصده ، وكذلك القول في المستوى السياسي والاجتماعي والإنساني [1].

ثانيا: دفاع الكندي عن الفلسفة :

عرف الكندى الفلسفة بأنها العلم الذي يعلمنا ما هو الحق فقد كان من أوائل من استخدم كلمة فلسفة وفيلسوف فى مؤلفاته. ولا يزال الانفتاح الفكرى الذي تميز به الكندي يدهشنا حتى الآن. فقد اتخذ موقفا مضادا للفقهاء ورجال الدين المتشددين الذين احتقروا الفلسفة وكفروها ؛ لأنها صادرة عن قوم أجانب وثنيين. لقد رد عليهم قائلا:

ينبغي ألا نستحي من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى، وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة، فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق (2).

ويُفَرِّق الكندى بين الفلسفة والتي يبلغها الفيلسوف بطلب وتكلف ، وبين العلم الإلهى، وهو أعلى رتبة؛ إذ يتم بلا طلب، ولا تكلف، ولا بحيلة بشرية ، كعلم الرُّسل ، أنه بلا طلب ولا تكلف ولا بحث، ولا بحيلة بالرياضيات والمنطق؛ فإن هذا العلم خاص بالرسل دون البشر، وأحد خواصهم العجيبة، أعنى آياتهم الفاصلة لهم من

(2) https://mena-monitor.org/research/

(1) الكندي، الرسائل، تحقيق ، محمد عبد الهادي أبو ريده، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1978م، ص 81 ، ص 122.

المنارة للاستشارات

غيرهم من البشر، إذ لا سبيل لغير الرُّسل من البشر إلى العلم الخفي، إلا بالطلب ؛ فأمَّا الرُّسل فلا بشيء من ذلك ، بل بإرادة مرسلها (1) .

و الفلسفة أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة – فيما يري الكندي- فهي علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان. فقد جعل حدا معرفيا للإنسان لا يمكن تجاوزه، وعلل قدر الطاقة هذه، بأن غرض الفيلسوف في علمه أصابة الحق وفي عمله العمل بالحق، لا الفعل سرمدا ؛ لأننا نمسك وينتهي فعلنا اذا انتهينا إلى الحق. واعتبر الفلسفة الأولى أى الميتافيزيقا أشرف مرتبة بالفلسفة وأعلاها، فهي علم الحق الأول الذى هو علة كل حق، والفيلسوف التام هو ذلك الشخص المحيط بهذا العلم الأشرف فله مكانة عالية بين العلوم. أما شرف الفلسفة الأولى فيأتي من دراسته العلة التي أوجدت الموجودات، وعلم العلة أشرف من علم المعلول هذا من جانب، ومن جانب آخر، أننا نعلم علما تاما بالأشياء اذا أحطنا بعلم علتها (2) .

ويدعو الكندي منكري القول الفلسفي إلى أن يثبتوا ذلك بالبرهان، وإن فعلوا ذلك فإنهم أصبحوا ممارسين لفعل التفلسف؛ لأنهم سيتحققون من العلة والبرهان من قنية علم الأشياء بحقائقها ، وهنا ينبه الكندي إلى أن الفلسفة هي قبل كل شيء فعل، وليست نتائج فقط، ففعل التفلسف هو الأهم وإن جاء بنتائج لا يرضاها الخصم، لذا يرى الكندى ضرورة الفلسفة لكل عالم، خاصة أن الرسل تقر بها وتدعو إليها وتعالج مواضيعها نفسها [3].

يدافع الكندى عن نفسه باعتباره ممثل الفلسفة الناطق بلسانها ضد علماء الدين ، أنها قصة الصراع بين الدين والفلسفة تلك القصة التى لم تمر فى التاريخ

(2) المصدر السابق ،ص٣٧٢-٣٧٣ .

(3)علي هادي طاهر الموسوي ، نظرية المعرفة عند الكندي ، مجلة آداب البصرة ، العدد ٥٥ ، كلية الآداب، جامعة البصرة ، ٢٠١١ م، ص 103، 389، 390 .ورسائل الكندي ، الجزء الأول ، ص 25 .

(1) إبراهيم بورشاشن ،الفلسفة والوحي عند الكندي ،الرباط، المغرب، مؤمنون بلا حدود، 02 يونيو 2016 ، ص9 .

المنارة للاستشارات

الإسلامي سهلة ميسورة ، وكان فيلسوف العرب أول من ثبت أقدام الفلسفة وتلقي سهام أصحاب الدين ، ففتح بذلك الطريق أمام دخول الفلسفة حظيرة الإسلام . وانتصرت فلسفة حينا وثبتت أقدامها ، وانهزمت حينا آخر وحكم عليها بالتواري والانزواء [1] .

(وإذا تتبعنا ما ذكره الكندى في حديثه عن دور العقل في فهم النصوص النقلية في تفسيره لمعنى السجود – على سبيل المثال- نجده تطرق لقضية رفض بعض رجال الدين لموضوع التأويل حيث وجه لهم نقداً، كونهم يرفضون التأويل العقلي لها، وندرك من ذلك اختلافهم في فهم النصوص الدينية وهذا تفاوتاً بينهم أيضاً .[2]

فلم ينتبه هؤلاء المتشددين إلى المشَكَّلات التى يمكن أن تحدث بدون تأويل بعض النّصوص وهذه المشَكَّلات تتمثل في الاتجاه إلى التشبيه أحيانًا ، والتعارض الظاهري بين النّصوص والحد من الاجتهاد وأعمال العقل.

و هؤلاء الذين يرفضون التأويل يعاندون الفلسفة يقول الكندى عنهم : (لأن كثيرا مما صيرت له الأوائل المألوفة مقدمات لبراهين ما عرضت الحاجة إلى ايضاحه ، تضطرهم اليها اللجاجة والنكوص عن الحق إلى دفع الأشياء المألوفة المقدمة وانكارها [3] .

و نفي الكندى تهمة الكفر عن الفلسفة ، وأظهر اتفاقها مع الدين ، وأن بعض رجال الدين هم قوم عدماء دين يتجرون باسمه دفاعا عن كراسيهم المزورة ، فالفلسفة بحث عن الحق والدين طلب للحق والاهتداء به. [4] .

---

(2)المرجع السابق ، ص 10 ، وأيضا ، أحمد فؤاد الأهواني، الكندي فيلسوف العرب ، المؤسسة المصرية العربية للتوزيع والنشر، أعلام العرب (26)، 1964م ص 53، 54.

(3) Dr. Sobhi Rayan, International Journal of Humanities and Social Science Vol. 2 No. 19 P152: 153.[Special Issue , Islamic Philosophy of Education, October 2012

(4) رسالة الكندي إلى أحمد بن محمد الخرساني في ايضاح تناهي جرم العالم ، الرسائل ، ج1 ، ص 186 وما بعدها و فاطمة اسماعيل محمد اسماعيل ، منهج البحث عند الكندي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيرندن ، فيرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، سلسلة الرسائل الجامعية (23)، الطبعة الأولى ، 1998م، ص 149وما بعدها .

(1) أحمد فؤاد الأهواني ، الكندي فيلسوف العرب ص 278، 279 ,

المنارة للاستشارات

وقد هاجم الكندي خصوم وأعداء الفلسفة، ودافع عنها دفاعا شديدا ، فيقول :إن عداء هؤلاء للفلسفة إما لضيق فطنهم عن أساليب الحق، وإما للحسد المتمكن من نفوسهم البهيمية.

ومثلما تكلم عن أهمية الفلسفة تكلم الكندى أيضا عن أقسام العلوم التي تندرج تحتها موضحا أهميتها جاعلا من أرسطو مرجعا رئيسا ومن مؤلفاته هي مدخلا لكل إنسان يريد الوصول إلى نهاية الشرف العقلى، فمن كان ينشد ذلك عليه دراستها وفهمها على الولاء، مراعيا التقسيم السداسي لها فهي بعد الرياضيات، المنطقيات، الطبيعيات، النفسانيات، الميتافيزيقا، ثم كتبه الخلقية السياسية [1].

ثالثا : التوفيق بين الفلسفة والدين:

المتأمل في الفكر الإسلامي يجد أن لبه الأساسي معالجة العلاقة بين النظر الفلسفي، و النقل الديني، أو بين الحكمة والشريعة.

لقد كانت قضية العقل والنقل هي أحدى مشكلات العصر في تلك المرحلة. وتعتبر هذه المشكلة بشكلها الجديد آنذاك (شكل الصراع بين الدين والفلسفة) امتداد للصراع الايديولوجي الذي ميز ذلك العصر في مقولاته المعروفة . من هنا كان تحديد الموقف الحاسم في مشكلة العلاقة مابين الدين والفلسفة،لا ينفصل عن تحديد الموقع الحاسم في جبهة الصراع الأيديولوجي .

وارتبطت قضية علاقة الدين والفلسفة بالبحث عن قدرة العقل على الوصول إلى المعارف والعلوم المختلفة ، والتوفيق بين الفلسفة والدين هو محاولة لازالة التضارب الظاهري بين النص الديني والعقل متي وجد .

ولما كانت الفلسفة علم الحق بالعقل – كما يراها الكندى- كذلك الدين علم الحق عن طريق الوحى. والكندى هو أول فيلسوف مسلم ، جعل حقائق الوحى والإيمان فى ذات الله وصفاته وأفعاله فى المرتبة الأولى بالنسبة لحياته الروحية، وهو

(2) علي هادي طاهر الموسوي ،نظرية المعرفة عند الكندي، ص391 , .

المنارة للاستشارات

أيضا يعتمد على العقل، ويلجأ إلى التأويل، وهو متأثر كباقي فلاسفة المسلمين بأرسطو في العلم الطبيعي، ولكن خالفه في بعض الأراء مثل القول بقدم العالم الذي رفضه الكندي .

أراد الكندى أن يوفّق بين الفلسفة والدين، وأكد أنّ الحقيقة واحدة لكن الأساليب متعددة والطرق متباينة للوصول إليها. ومن وجهة نظره لا يوجد اختلاف بين الفكر الفلسفيّ والشريعة الإسلاميّة. والكندى أوّل من نشط في وضع المصطلحات الفلسفيّة وكان انعكاسا للحضارة الإسلامية التي اذدهرت في العصر العباسى و تأثر بالفكر اليونانى و بنظرياته ، فقد شارك في حركة ترجمة الكتب اليونانية ، ولم يقتصر على ذلك بل طوع الفكر اليونانى، لصالح الدين ، واستخلص منه نتائج عديدة لخدمة الفكر الإسلامى، و المعتقدات الدينية .

ويعتبر الكندى أيضا أول من انتهج منهج التوفيق وبخاصة في رسائله ، فاقتناء الحق عند الكندى واجب حتي وإن كان مصدره الأمم المغايرة من حيث اللغة والدين وخلافه ، فما الضير من ذلك؟ مادمنا نريد الوصول إلى الحق ، فمن وجهة نظر الكندى: أنه (ينبغي لنا أن لا نستحي من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى وإن أتي من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة ، فأنه لا شئ أولى بطلب الحق من الحق.

فقد كان الكندى ضمن الفلاسفة المسلمين الذين يؤكدون على التوافق والوحدة المفاهيمية الأساسية للدين والفلسفة ، و كان كل الفلاسفة ملتزمين بمعرفة الله و احترام النص الديني باعتباره السبب الأول والواقع النهائي (1).

ومع سطوع نجم الفلاسفة الإسلاميين ، وظهور كتبهم في أسواق الوراقين ، واتصال بعضهم بالخلفاء والحكام تعاظم دور الفلسفة واتسعت الدائرة ، لكن كلما زاد الظهور اتسعت دائرة النقد ، وكان لا بد من جهد للتوفيق بين الحكمة والشريعة (2) .

---

1) Oliver Leaman ISLAMIC PHILOSOPHY A–Z- Edinburgh University Press Ltd- Peter S. Groff, 2007 ,P :163.

(2) إبراهيم بورشاشن الفلسفة والوحي عند الكندي ، ص 9، 10.

المنارة للاستشارات

ولم يقف الكندى عند رد عام على من يرون في القول الفلسفي قولا مخالفا للشريعة بل اتجه إلى القول الشرعى وقرأه قراءة فلسفية؛ ليرى أن التباعد بين رسالة الوحى ورسالة العقل وهم وخيال ليس غير ، ويعتبر الكندى من أوائل الفلاسفة الذين بدأوا التدبر الفلسفي للوحي في الكتاب والسنة من خلال تأويل فلسفي يروم تطويع الوحى ؛ ليستجيب للمعانى التى قررها الفلاسفة واطمأن إليها، ورآها تجلى معنى الوحي وتبينه أكثر (1) .

و لا يجد الكندى أي تعارض بين قول جاء به عقل الحكماء ، وقول جاءت به نبوة محمد عليه السلام، ؛ لذا يدعو الكندي إلى التمسك بهذا الحق الفلسفي النفيس، والسعى في طلبه بغاية الجهد

(2). وقد جمع الكندي في بعض تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات (3).

وفي الرسالة الأولى التى وجهها الكندى إلى المعتصم والتي يدافع فيها عن الفلسفة والمشتغلين بها، ويبين الحاجة إليها؛ يشرح أيضا من خلال هذه الرسالة ما بين الشريعة والحكمة من اتفاق واتصال ، و يحاول التقريب بين الفلسفة الأولى وبين الشريعة التى يشتغل بها الفقهاء؛ نظرا لأن موضوع الفلسفة الأولى عند العرب يصطبغ بالصبغة الدينية، فهم يطلقون على الفلسفة الأولى علم الإلهيات.

ومن كلام الكندى يتضح أنه من المعظمين للدين ولكن هذا لا يعني أنه لم يوفق بين الدين والفلسفة بل وفق ، فهو بخلاف الفلاسفة الذين فضلوا الفلسفة على الدين الاسلامى، كما اتهم بذلك أبو نصر الفارابى ولم يضح بالفلسفة من أجل الدين كما فعل أبو حامد الغزالى. فهو أي الكندى مثلما طالب بالثناء على الانبياء طالب أيضا بالثناء على الفلاسفة أيضاً. ومثلما بين أن هذه الآيات تعجز عنها عقول الفلاسفة، فأنه سبق وبين موقفه من آية سجود الجرم ووضحنا موقفه القائل بأن

---

(3) المرجع السابق ، ص 9، ورسائل الكندي ، ج1 ، ص 26.

(1) ظهير الدين البيهقي ، تاريخ الحكماء نسخة فتوغرافية ، الهيئة العامة للكتاب ، رقم ١١٩، ص٢٦٠.

(2) علي هادي طاهر الموسوي ،نظرية المعرفة عند الكندي ،ص 400.

المنارة للاستشارات

أحكام الشريعة تفهم بالمقاييس العقلية، فضلاً عن تأكيد دور الحواس والعقل بالاستدلال على وجود الله .

و تتضح النزعة التوفيقية بين الفلسفة والدين في جميع رسائل الكندى ومؤلفاته ، إما على وجه الإجمال، أو على وجه التفصيل ، فهو دائما يستخدم المنهج التوفيقى ويقيم الفيلسوف العربى الأول أول مصالحة في تاريخنا بين العلم والإيمان أو الفلسفة والدين، و الموقف التوفيقى من الكندى موقف نابع عن إيمانه أن النص الديني قائم في الأساس على العقل.

وبرغم دفاعه المستميت عن الفلسفة والمنهج الفلسفى الذى تكون لديه من جملة مؤثرات معرفية في العلوم الطبيعية والرياضيات. بقي ارتباطه الوجداني بالمسلمات الإيمانية قويا . هذا التداخل وضع الكندى في وضع لم يوفر له القدرة على حل مشكلة العلاقة بين الدين والفلسفة ، فبقيت العلاقة بينهما،في مجمل منظومته الفكرية ، علاقة ازدواج وتداخل، ولكن ضمن اطار منهجية فلسفية تعتمد مقولات الفلسفة ومفاهيمها بوجه عام ومن هذا الوضع نشأت ثنائية الحقيقة عند الكندى ، أو في الفكر العربي الإسلامى ، وثنائية الحقيقة ، أي الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية وهنا لابد أن نؤكد أن هذا الانتقال هو الحركة التاريخية الفارقة بين مرحلتين مرحلة علم الكلام المعتزلى، ومرحلة الفكر الفلسفى المستقل.أو بالأحرى قد أسس لافتراق خطين خط علم الكلام السني ، وخط الفلسفة حيث بدأ عصر ثنائية الحقيقة .

لكن ماهي ثنائية الحقيقة عند الكندى ؟ الكندى عبر عن ذلك بقوله .إن كلتا الحقيقتين الدينية والفلسفية حق. أي هناك علاقة انسجام وتطابق ،لا علاقة تعارض أو تناقض. ومن هنا كان نقد الفلاسفة الماديين والمستشرقين لفلسفة الكندى كونها حسب رأيهم فلسفة توفي . (1)

---

(1) alquran.com/ara

المنارة للاستشارات

فقد سبق الكندى الفلاسفة المشهورين أمثال ابن رشد في توفيقه بين الفلسفة والدين كون كلاهما يؤدي إلى نفس الهدف طبقا لرأيه. لكن الكندى وجد أن الأنبياء أعظم من الفلاسفة وهذه الأمور تتبين – في رأيه - عند تتبعنا للخصائص التى يتميز بها علمهم عليهم السلام، ولما يتحلون به من خصال.

و لا تتعارض الفلسفة مع الدين عند الكندى ، لكنها أيضا لا تقوم مقامه ولا تغنى عنه، فما هي الا تنوير عقلى لفهم الدين، الذى هو حق وصواب في كل تعاليمه، بعكس الفلسفة التي قد تصيب وقد تخطئ في المسائل الاجتهادية.

منح الكندى العقل المكانة الواضحة في فهم النصوص الدينية وتأويل بعضها، لكنه لم يؤكد دور العقل أبدا دون الوحي بل جمع بينهما. وعارض نظرية البراهمة أو الهنود التي جعلت من العقل وحده يكفى مصدرا للمعرفة ، ودافع عن النبوة مؤكدا انسجامها مع العقل ، فهو وإن عظم من مكانة العقل إلا انه لم يجعله المصدر الأوحد للمعرفة ، ولم يضحى بالنصوص النقلية المقدسة من أجل الأدلة العقلية، بل واشج بينهما. ونجده يواشج أيضا بين الحس والعقل بقضية الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى. فهو جمع بين الحس والعقل في هذا الموضوع كما جمع بينهما في عملية المعرفة ، فلم يكن حسيا صرفا ولا عقليا صرفا بل هو نقدي. وكي لا نخرج عن دور الحواس والعقل في الاستدلال على قدرة الله نقول، أنه بين أن الحواس عندما تدرك الطبيعة وتلاحظ ما فيها من نظام تستدل على وجود القدرة (1).

و يقدم لنا الكندي فهما عقليا فلسفيا للقرآن حيث جعل الوحى مما يمكن فهمه بالمقاييس العقلية التى لا يدفعها إلا من حرم صورة العقل واتحد بصورة الجهل . وبهذا أشار إلى توافق العقل مع النقل (2) .

(2) علي هادي طاهر الموسوي ، نظرية المعرفة عند الكندي ، ص 385، 386

(3) فاطمة اسماعيل محمد اسماعيل ، منهج البحث عند الكندي ، ص 83.

المنارة للاستشارات

وأسس الكندى لنسق من المعرفة جديد في عصره ، يقوم على علم الأشياء بحقائقها تصهر فيه المعارف الفلسفية والدينية. فليس هناك تعارض بين ما جاء به الوحى وما قالت به الحكمة ؛ بل إن العقل قادر على تفسير كل ما أتى به الوحى، فعند الكندى أن كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، موجود جميعا بالمقاييس العقلية التي لا يدفعها إلا من حرم صورة العقل واتحد بصورة الجهل ، فلا تعارض بين علم الرسل وعلوم الحكمة، وهو ما يؤكده الكندى ، فما الذي ينكر من أن تكون قدرة الحق الثابتة مثلت الكل مثال حيوان واحد موجود فيه جميع ما يوجد في الكل، وإنسان واحد توجد فيه جميع هذه، ولا سيما ليس يخالف ذلك خبر الصادق محمد عليه السلام. فخبر الرسول مطابق الحكمة، وكذلك خبر القرآن . إن الوحى عند الكندى ليس من المستحيلات العقلية، بل هو يندرج تحت ممكنات العقل المختلفة (1) .

فالحقيقة الدينية لا تتناقض مع الحقيقة العقلية بل هما مظهران لحقيقة واحدة. يقول الكندي: إن قول الصادق محمد صلوات الله عليه وما أدى عن الله عز وجل لموجود جميعا بالمقاييس العقلية التي لا يدفعها إلا من حرم صورة العقل واتحد بصورة الجهل من الناس، فأما من آمن برسالة محمد وصدقه ثم جحد ما أتى به وأنكر ما تأول ذوو الدين والألباب ممن أخذ عنه صلوات الله عليه فظاهر الضعف في تمييزه، إذ يبطل ما يثبته وهو لا يشعر بما أتى من ذلك، أو يكون من جهل العلة التي أتى بها الرسل صلوات الله عليهم ولم يعرف اشتباه الأسماء فيها والتصريف والاشتقاقات اللواتى وإن كانت كثيرة في اللغة العربية فإنها عامة لكل لغة (2) .

الحقيقة الدينية إذن لا تتناقض مع العقل، غير أنها في بعض الأحيان لا تنال من ظاهر النص بل قد يستلزم الأمر اللجوء إلى التأويل. والتأويل في هذه الحالة لا يعني اختراق المجال التداولى الذي نزل فيه القرآن إلى مجال آخر بعيد عنه كما يفعل

(1) إبراهيم بورشاشن الفلسفة والوحي عند الكندي ، ص10.

(2) http://www.aleqt.com/2009/08/11/article_261755.html

وراجع ، كتاب الكندي الي المعتصم ، رسائل الكندي ، الجزء الأول ، ص 25 وما بعدها .

المنارة للاستشارات

أهل الباطن. إن الكندى يؤكد على احترام أساليب اللغة العربية في التعبير، في ذات الوقت الذى ينحو فيه بالتأويل منحى عقليا صرفا.

وكما عمل الكندى على نصرة «المعقول» الديني ضدا على التأويل الباطني عمل في الوقت نفسه على الدفاع عن «المعقول العقلي» أعني الفلسفة وعلومها. إن الكندى يدعو إلى ضرورة الأخذ من الأوائل وتدارك ما قصروا فيه، مع احترامهم والاعتراف بفضلهم، يقول : «ومن أوجب الحق أن لا نذم من كان أحد أسباب منافعنا الصغار الهزيلة، فكيف بالذين هم أكبرُ أسبابِ منافعنا العظام الحقيقية الجدية ؟ فإنهم وإن قصروا عن بعض الحق فقد كانوا لنا أنسابا وشركاء في ما أفادونا من ثمار فكرهم التي صارت لنا سبلا وآلات مؤدية إلى علم كثير مما قصروا عن نيل حقيقته (1).

رابعا : صراع الكندي وتجار الدين :

يعد الفيلسوف ملخص لحضارة الأمة من شتي نواحيها الدينية والعلمية والفنية وهو في الوقت نفسه أخذ بيد هذه الحضارة إلى الأمام بما يرسم لها من أفاق جديدة ، يصورها بفكره . وقد كان الكندي مسجلا للحضارة العربية التي عاش فى ظلها ، وكان مسجلا لحركة الترجمة التى نقلت الينا التراث اليوناني [2].

و الكندى أول مفكر عربي مسلم تجشم عناء التعامل مع تراث غريب عنه فكراً ولغة، فكانت جهوده اللبنة الأولى التى شيد عليها فلاسفة المسلمين من بعده بناءهم الفلسفى الذى أصبح تراثاً اسلامياً تميز في كثير من مواضيعه عن التراث الفلسفي الأغريقى [3].

وبدأت منهجية الكندى بإستيعابه للثقافات الأخرى وبخاصة الثقافة اليونانية، حيث يرى أن الحقيقة تراث إنساني مشترك، وأن الحق مطلب إنساني عام ، والحقيقة ما هي إلا ثمرة لتضامن العقول المفكرة الكبيرة عبر العصور(4) .

---

(3) http://www.aleqt.com/2009/08/11/article_261755.html

(1) د محمد جبر ، منزلة الكندي في الفلسفة العربية ، دار دمشق ، الطبعة الأولي ، 1993م ، ص 90.

(2) علي هادي طاهر الموسوي، نظرية المعرفة عند الكندي ، ص 361.

(3) فاطمة اسماعيل محمد اسماعيل ،منهج البحث عند الكندي ، ص 13 ، وأيضا

المنارة للاستشارات

أما عن مصادر المعرفة عند الكندى ، فالدين يعد من أهم مصادر المعرفة فهو وإن كان أول فيلسوف سعى لتعليم الفلسفة اليونانية في العالم الإسلامي إلا أنه أكد أن المعرفة مكتسبة عن طريق الوحي من الكتب المقدسة، وهذه المعرفة غير غامضة بل ارفع مقاماً من أي معرفة مكتسبة أخرى بما فيها الفلسفية. وحاول أن يبرهن معتمداً على مصطلحات الفلسفة لأثبات عقائده الايمانية كخلق الله للعالم من العدم، وشموله بالعناية الآلهية إلى وقت فنائه ، تبعاً لإرادة الله . و جعل الكندي من المعرفة الدينية أعلى منزلة من الفلسفة، معظما لدور النبوة والأنبياء حيث طالب باقتناء الفلسفة لا لغرض الفلسفة بل لكونها تدعو إلى نفس القضايا والمسائل التي دعت لها الرسل الصادقة ، فكلاهما دعا للاقرار بربوبية الله ووحدانيته وبلزوم الفضائل النافعة المرتضاة عنده وترك كل الرذائل المضادة للفضائل ، وبلزوم الأعمال المرضية لله (1).

وإذا كانت الفلسفة قد انتقلت إلى العالم الإسلامى في فترة اتسمت بالانفتاح على ثقافة الآخرين؛ فإنّه في فترات التشدّد، كانت هناك خشية من العمل بالفلسفة، ومن تعلمها، فكلّما ازدادت شوكة المتشددين، كان هناك عدم ثقة لدى البيئات الدينية في شرق الإسلام إزاء الاشتغال بعلوم الأوائل أشدّ وأعنف، وأقدم مثال على ذلك؛ ما شعر به الفيلسوف الكندى من قلق وخوف، بعد عودة سلطان أهل السنّة في عهد المتوكل(247هـ) (2).

ولكن الكندى عاش أيضًا بعد وفاة المأمون (ت218هـ)، في العصر الذي بدأه الخليفة المتوكل على الله والذي عاد فيه سُلطان أهل السنة، لا جَرَمَ إذن أن رأيناه يحس — ككل مفكر حر — بقلق وخوف من رجال الدين وسلطانهم، وكان ما روي عن أنه أوذي بسبب اشتغاله بالفلسفة. ولهذا كان لابدَّ له من محاولة

Oliver Leaman, ISLAMIC PHILOSOPHY A–Z, Edinburgh University Press Ltd, Peter S. Groff, 2007, P: 162.

(4) علي هادي طاهر الموسوي، نظرية المعرفة عند الكندي ، ص 397، 398

(1) https://www.hafryat.com/ar/blog/

المنارة للاستشارات

التوفيق بين الشرع والعقل، وذلك ما قد يجعله بمأمن من الأذى؛ ولذلك نجد ابن النديم يذكر له ضمن مؤلفاته رسالة في إثبات الرسل، وأخرى في نقض مسائل الملحدين، كما نجد ظهير الدين البيهقي(ت 565هـ) يذكر أنه قد جمع في بعض تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات [1].

فقد وجد الكندى نفسه متورطًا بشكل مباشر في الصراع الأيديولوجى الذي كان قائماً خلال حياته أدخله في هذا الصراع بعض رجال الدين المتشددين والساعين لمصالحهم من أجل التقرب من السلطة .

فحينما اعتبر الكندى أن العقل جوهر التقرب إلى الله ، عارضه رجال الدين وقالوا بأن أفكاره تتعارض مع الدين. وقام المتوكل بطرده من بلاطه ، وأمر بإتلاف مكتبته، واعتبر الكندى ضياع كتبه وأوراقه أكبر مصيبة حلت به في حياته، ومات وحيدا مهملا (2).

إن مسؤولية الكندى في التراكم المعرفي تستوجب عليه إذن الرجوع إلى أقاويل القدماء فيما يريده وهنا تقوم أمام الكندي عوائق وصعوبات أضطر للرد عليها، سببها بعض الفقهاء الذين لا يقبلون غير ما جاء به ظاهر الوحي، وسوء تأويل كثير من المتسمين بالنظر في دهره، من أهل الغربة عن الحق؛ لضيق فطنهم عن أساليب الحق، وقلة معرفتهم بما يستحق ذو الحجة في الرأى والاجتهاد. [3] .

و لذلك رفض الكندى الفكرة القائلة : أن الفلسفة إذا كان مصدرها اليونان والباحثون فيها فلاسفة و وثنيون، فإنه يجب الابتعاد عنها؛ لأنها أتت إلينا من بلاد غريبة بعيدة – فمن رأيه – أنه يجب علينا أن نبحث عن الحقيقة كحقيقة، وبصرف النظر عن كونها إسلامية أو ليست بإسلامية، أو كونها عربية أو يونانية، أو غير ذلك.

---

(2) ابن النديم ، الفهرست، ، طبع لاهور بالهند ، ١٩٣٥م. ص٣٦٢.

(3) https://ar.zenit.org/article

(4) إبراهيم بورشاشن الفلسفة والوحي عند الكندي ، ص 8،9- وراجع رسائل الكندي جزء1 ص 103 وما بعدها.

المنارة للاستشارات

لكن هل من الواجب على الرافضين للفلسفة دراستها ؟ يعتقد الكندي أنه من واجب الجميع أن يطلب الفلسفة وأن يدرسها حتى هؤلاء الذين يحاربونها حتي يدركوا الحقائق، ، فخصوم الفلسفة مضطرون لدراستها ،هؤلاء الذين يتجنبون البحث عن حقائق الفلسفة يجب عليهم أن يبحثوا فيها، وأن يطلبوا العلم من خلالها.وعلى هؤلاء أن يقولوا أن الفلسفة تجب أو لا تجب ، فإن قالوا تجب ، فقد تفلسفوا ، وإن قالوا لا تجب وجب عليهم البرهنة علي ذلك ، وهم في سبيل ذلك أصبحوا متفلسفين رغما عنهم [1].

و موقفه ونظرة الكندى من رجال الدين كان واضحا ، هؤلاء الذين تحاملوا على الفلسفة ، وقذفوا المشتغلين بها بتهمة الكفر والزندقة ، ووجهوا سهامهم ونقدهم العنيف للكندى والدارسين للعلوم الفلسفية ، فكان الكندى أول من كشف القناع الذى يكمن وراء موقفهم هذا، فهم –فيما يري- ينتسبون زوراً إلى السلف الصالح ، وموقفهم هذا كان "ذبا عن كراسيهم المزورة التى نصبوها لأنفسهم من غير استحقاق ،بل للترؤس والتجارة بالدين، وهم عدماء الدين؛ لأن من تجر بشيء باعه ،ومن باع شيئاً لم يكن له ، من تجر بالدين لم يكن له دين. ويحق أن يتعرى من الدين من عاند قنية علم الأشياء بحقائقها وسماها كفراً ؛ لأن في علم الاشياء بحقائقها علم الربوبية،وعلم الفضيلة ، وجملة كل علم نافع ، والسبيل اليه، والبعد عن كل ضار ، والاحتراس منه [2].

إن التهم التي يوجهها الكندى لرجال الدين خطيرة تتلخص في أنهم لا يتبعون الحق ؛ وأنهم ضيقوا الفهم ؛ وأن الحسد يأكل قلوبهم ؛ وأنهم انما يدافعون عن كراسيهم المزورة عند أصحاب السلطان ؛ وأنهم يتجرون بالدين . وقد عرفنا بعض رجال الدين الذين كان يعنيهم الكندى نعني أصحاب الحديث ممثلين في أبي معشر وأيضا فإن رجال الدين لم يكونوا جميعا من أهل الحديث ، فمنهم الفقهاء ومنهم المتكلمون المدافعون عن العقيدة الإسلامية بمنطقهم، ومنهم فرق لا حصر لها

(1) راجع الرسائل للكندي ، ص 35 ، 36.

(2) أحمد فؤاد الاهواني ، الكندي ورجال الدين، العدد 758، مجلة الرسالة، 12 يناير ، 1948م.

المنارة للاستشارات

لعبت أدوارا مختلفة على مسرح الحياة إبان الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية .

بدأ الكندي حياته الفلسفية في عصر المأمون . ووقع ذلك الصراع الدامي بين المعتزلة وأصحاب الحديث ، عندما حدثت فتنة القول بخلق القرآن واصطنعها المأمون ثم ابنه المعتصم ، وأيدا أحمد بن أبي داؤد ، وأصيب أحمد بن حنبل بالمحنة المشهورة حتي خمدت نار الفتنة في زمن المتوكل الذي بدأت في عصره محنة الكندي .

وذكر محمد بن إسحاق النديم في الجزء الرابع من كتاب الفهرست ما هذا لفظه أبو معشر جعفر بن محمد البلخي (ت271ه) كان أولا من أصحاب الحديث فنزل بالجانب الغربي بباب خراسان من بغداد وكان يضاغن الكندي ويغرى به العامة ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة وهذه الحيلة تؤلب العامة علي الفلاسفة، فالعامة أو البسطاء لا يحكمون على الأمور بالعقل بل تحكمهم العاطفة . ويعتبر التشنيع من أخطر المكائد ، فدس إليه الكندى من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة فدخل في ذلك فلم يكمل له فعدل إلى علم النجوم فانقطع شره عن الكندي لعله أن هذا العلم من جنس علوم الكندى ويقال أنه تعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره وكان فاضلا حسن الإصابة ضر به المستعين أصواتا ؛ لأنه أصاب في شيء وأخبر به قبل وقته وكان يقول أصبت فعوقبت وتوفى أبو معشر وقد جاوز المائة بواسط يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائتين ثم ذكر محمد بن إسحاق تصانيف أبي معشر [1] .

والتهم التى يوجهها الكندى في المقابل لرجال الدين خطيرة وتتلخص في أنهم لا يتبعون الحق ؛ وأنهم ضيقوا الفهم ؛ وأن الحسد يأكل قلوبهم ، وأنهم يتاجرون بالدين .

(1) أحمد فؤاد الأهواني، الكندي فيلسوف العرب، ص 52.

المنارة للاستشارات

وقد استخدم بعض السنيين الرأي العام الشعبي لمقاومة الفلسفة و رجالها ، بالمشرق الإسلامي و مغربه ، ففي المشرق رُوي أن بعض أهل الحديث كان يُشنّع على الفيلسوف يعقوب الكندى اشتغاله بعلوم الفلاسفة ،و يُغري به العامة [1] .

وذكر ابن قيم الجوزية (ت 751ه)، أن أكثر الفلاسفة المسلمين ومنهم الكندى ضلوا في حياتهم ،و تحلّلوا من الشريعة ، و أقبلوا على شهوات البطن و الفرج والرياسة [2].

و إثر هجاء الكندى رجال الدين، وتبريرهم للجور السياسي، كتب أيضا ابن رشد في هجائهم، قائلا : فكم من فقيه كان الفقه سببـ لقلة تورعه في الدنيا؟ بل أكثر الفقهاء هكذا نجدهم، وصناعتهم؛ إنما تقتضي، بالذات، الفضيلة العملية [3].

و هكذا ينتسب تجار الدين إلى السلف الصالح زورا ؛ و يضعون خطابًا أيديولوجيًا متشددًا.

و يؤكد الكندى على فكرة أن بعض الناس يتاجر بالدين ويعارض فكرة معرفة الأشياء بحقائقها ، ويرى أنه من واجب رجال الدين أن يقدموا الدليل والبرهان على هذه المعارضة ، وتقديم الدليل والبرهان من خاصية الفلسفة ، فاذا ما قاموا بذلك يكونوا قد أقروا بالفلسفة إذ أن الفلسفة من خواصها البحث عن الحق بالبرهان والعلل.

(2) https://www.hafryat.com/ar/blog/.

(3) ابن قيم الجوزية : الصواعق المرسلة ، حققه علي الدخيل ، ج3، الرياض، دار العاصمة ، 1998 ص843 .

(4) مصطفي بن تمسك، السيايسي" والديني" والفلسفي ، ص9 .

المنارة للاستشارات

خاتمة (أبرز النتائج):

ومن استقرائنا لحقائق هذه الدراسة تتضح النتائج التالية :

-إنَّ الباحث ليأسف حين يجد متعصبا ، كأبى معشر البلخي يوجه نقدا للكندى الفيلسوف مشتملاً على الحقد والتعصب ، فلا يذكر فلسفته ألا بالسوء رغم أنها مجرد محاولة للوصول إلى الحقائق .

- أنّ النقد الذي وُجِّهَه رجال الدين للكندى لم يكن خالصاً للنقد، بل كان بدوافع شخصية كما اتّضح لنا، يدل هذا علي فساد تفكير أولئك النقاد الطارئين على النقد، الذين اندفعوا بعواطفهم في الكتابة، وليس بعقولهم كما يُفتَرَض بهم.

- كثيراً ما تخلط مسألة الدَّولة والسُّلطة بالمسائل الدِّينية، لتعطى الطابع الإلهي للسلطة، فيكون ذلك دائماً من مصالح البعض الذين يستثمرون هذه الأفكار لصالحهم، أو لصالح من يدفعون بهم إلى ذلك.

- إننا لا نريد أن يصبح دعاة الدِّين (تجار الدين) فوق الجميع ويصبحون ممثلي الدَّولة، فتسوء أحوال الدَّولة، ويمثلوا لدى عامة الناس الدِّين نفسه، ويصبح الاتجاه إلى سُلطة الدِّين مأوى لكل ساخط وعاجز عن المشاركة.

- إن تحويل الدين إلى سلعة ثم تجارة، شائع في عصرنا الحالي من قبل المستبدين ، فكثير من المتدينين أعطوا عن الدين صورة مشوهة وقبيحة ومزيفة عكست في أذهان الناس أن الدين عدو للحياة والوجود وعدو للإبداع والفن وخصم للآخر غير المتدين، بهذه الذهنية السقيمة عن الدين وبهذه الروح الكارهة لكل شيء في الحياة يتحول الدين إلى بؤرة للكراهية والتدمير.

- إن المعرفة الفلسفية عند الكندى هي امتداد مباشر للمعرفة النبوية ، فكلاهما طريق للوصول إلى الحقيقة ، فالفلسفة بحث عن الحق لمعرفته واقتنائه والعمل به ، والدين طلب للحق والاهتداء به .

المنارة للاستشارات

- الخصومة بين الكندى ورجال الدين والفقهاء هي جزء من الخصومة بين الفلاسفة ورجال الدين ، وهي خصومة قديمة ولا تزال موجودة الي الأن في بيئة مليئة بالتعصب ضدَّ كلِّ من أجاز لنفسه شيئًا من حرية التفكير.

- دافع الكندى عن مشروعية الممارسة الفلسفية ، فالفلسفة في عصره وضعت موضع الشك فكان لزاما عليه الدفاع عنها ؛ لذلك حدد هدفين للممارسة الفكرية للفيلسوف : هدف نظري يتمثل في المعرفة المجردة بحقائق الأشياء وجواهرها، أي تكوين أحكام عقلية مطابقة لحقيقة الشيء، وهدف عملي يتمثل في أن يسلك الفيلسوف وفقا للقيم الأخلاقية الحقة التى يحددها. العقل العملى.

- لنا أن نتعجب ونسأل هل ازدهار الفلسفة لا يسود إلا إذا رافقها مناصرة السلطة السياسية كما كان الحال في عهد الكندى ، وعندما تنقلب السلطة على التفكير الفلسفى، ينهار التفكير النقدى ويسقط التفلسف ؟

قائمة بأهم المراجع العربية والأجنبية

أولا :مصادر الدراسة :

- ابن قيم الجوزية : الصواعق المرسلة ، الجزء الثالث ، حققه على الدخيل ، الرياض، دار العاصمة، ط3 ، 1998 .

- ابن النديم ، الفهرست، ، طبع لاهور بالهند ، ١٩٣٥م.

- عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة.

- ظهير الدين البيهقي ، تاريخ الحكماء ، نسخة فتوغرافية ، الهيئة العامة للكتاب، رقم ١١٩.

- الكندي، الرسائل، تحقيق ، محمد عبد الهادي أبو ريده، الجزء الأول والثاني ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1978م.

المنارة للاستشارات

المراجع العربية :

- إبراهيم بورشاشن الفلسفة والوحي عند الكندي ، الرباط ، المغرب ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ،2 يونيو 2016 .
- أحمد صالح الصياد: السُّلطة والمعارضة في اليمن المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى، 1992م.
- أحمد فؤاد الأهواني ، الكندي فيلسوف العرب ، المؤسسة المصرية العربية للتوزيع والنشر ، سلسلة أعلام العرب رقم 26 ، 1964م.
- فاطمة اسماعيل محمد اسماعيل ، منهج البحث عند الكندي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيرندن ، فيرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، سلسلة الرسائل الجامعية (23)، الطبعة الأولي ، 1998م.
- ماهر عبد الهادي: السُّلطة السياسية في الدولة،القاهرة، 1980م
- محمد أركون، الفِكر الأسلامي "قراءة معملية"، ترجمة هاشم صالح ،بيروت ، مركز الاتحاد القومي الطبعة الثانية ، 1996م.
- محمد جبر ، منزلة الكندي في الفلسفة العربية ، دار دمشق ، الطبعة الأولي ، 1993م
- محمد معروف الدواليبي، الدَّولة والسُّلطة في الإسلام ، القاهرة ، دار الصحوة ، 1984م.
-مصطفي بن تمسك، السيايسي والديني والفلسفي الحدود الإستمولوجية والحدود المجالية، الرباط ،المغرب ، مؤمنون بلا حدود، 28 أغسطس 2017م.
-ناصيف نصار،منطق السُّلطة ،مدخل إلى فلسفة الأمر، دار أمواج ، الطبعة الأولى، 1995م.
- نبيل عبد الفتاح، سياسيات الأديان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م.

المجلات :

- علي هادي طاهر الموسوي ، نظرية المعرفة عند الكندي ، مجلة آداب البصرة ، العدد ٥٥ ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١١ م.
- أحمد فؤاد الاهواني ، الكندى ورجال الدين، العدد 758، مجلة الرسالة، 12 يناير ، 1948م.

المنارة للاستشارات

المراجع الأجنبية

- Dr. Sobhi Rayan, International Journal of Humanities and Social Science Vol. 2 No. 19 [Special Issue , Islamic Philosophy of Education, October 2012

-Oliver Leaman, ISLAMIC PHILOSOPHY A–Z, Edinburgh University Press Ltd, Peter S. Groff, 2007,

المواقع الالكترونية

1- – https://www.diwanalarab.com/spip.php?article2607-
2- -https://mena-monitor.org/research
3- -http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=37788&r=0
4- alquran.com/ara
5- https://ar.zenit.org/article
6- http://www.aleqt.com/2009/08/11/article_261755.html
7- https://www.hafryat.com/ar/blog/

المنارة للاستشارات